

الحسبان في القرآن – دراسة بلاغية

د. إبراهيم بن علي بركات الجعيد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بمعهد اللغة العربية - جامعة أم القرى

الحسبان في القرآن - دراسة بلاغية

د. إبراهيم بن علي بركات الجعيد

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة البلاغية آيات الحسبان في القرآن الكريم التي يصحح الله فيها لخلقه جميعا - ولا أقول: للمؤمنين فقط - حسابهم الخاطيء في تصوراتهم الذهنية، ومعتقداتهم الفكرية، وممارساتهم السلوكية، ورؤيتهم للحياة والكون.

والمراد بآيات الحسبان هي الآيات التي وردت بمادة «حسب»، ودلت على تصحيح حساب خاطيء، بل يعتقد أصحابها بصوابها، نحو قوله تعالى «وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا».

وقد حاول البحث أن يقف على أسرار تراكيب تلك الآيات ودلالاتها، وخصائص نظمها وعلاقاتها في سياقاتها المختلفة، وخصوصها وعمومها، وصورها البيانية، ومحسناتها البديعية، مع استجلاء مواطن الإعجاز البياني الذي يزخر به القرآن الكريم، الذي هو معين هذه الدراسة وأساسها ومحورها.

بل ذهب البحث في دراسته التي انطلقت به إلى استشراف آفاق أخرى، حيث رأى البلاغة في جوانب من علم الصرف، من خلال بلاغة بنية الكلمة وتصريفها، وفي جوانب من علم اللغة من خلال الدلالة اللغوية للكلمة المفردة، خلافا لما يقرره التنظير النظري في الدرس البلاغي.

AL-HUSBAN “False Thinking” in the Holy Quran verses "Rhetorical Study" Researcher

Dr. IBRAHIM ALI ALJUAID

Abstract:

This research handles the rhetorical study of the verses of AL-HUSBAN “False Thinking” in the Holy Quran verses which Allah corrects within these verses for all his creatures and only the believers their false thinking within their mental concepts and images, intellectual beliefs, behavioral practices and their vision towards life and universe.

The verses of AL-HUSBAN “False Thinking” means the verses that uses the word HASEB “Think” which the users of this word think that they are right such as the verse that says: “And they think that they are acquiring good by their works”.

The researcher tried to reveal the secrets of theses verses, their indications, the characteristics of their structure and their relationship within different contexts, their inclusiveness and particularity, the figures of speech for theses verses and embellishments as well as revealing the points and places of rhetorical inimitability within the Holy Quran.

The research moved towards exploring another horizon such as studying and revealing rhetoric regarding some aspects of morphology through studying the rhetorical structure of the word and its declension form as well as handling some aspects of word syntax contrary to what is decided theoretically in the rhetorical lessons.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم البيان، وأكرم الإنسان، وجعله ناطقا مبينا، وفصيحا بليغا، والصلاة والسلام على النبي الأمي، الذي أوتي جوامع الكلم، وعلى آله الطاهرين، وصحبه أجمعين، وبعد:

فإني وجدت المطالب العلمية المتعلقة بالحسبان في القرآن الكريم، والمباحث المعرفية، المصححة للنهج والمسار، من الأمور اللافتة للأنظار، الجديرة بالتفكير والاعتبار، التي تستوجب منا التوقف أمامها، والاستنارة بمنارها؛ الواردة في أجمل حلة بيانية، وأبلغ عبارة بلاغية، الجامعة بين إعجاز التركيب وبلاغته، ودقيق المعنى وأصالته، الهادفة من أجل التصحيح والتوضيح وصواب الاعتقاد، وبيان مهيع الحق والصدق والرشاد، لإزالة التصورات الذهنية الخاطئة^(١)، والاعتقادات الفكرية الفاسدة؛ لأنه ما من شيء يضر الإنسان مثل تصوراته البعيدة عن حقائقها، الغارقة في أوهام دقائقها، التي تورده موارد الردى والهلاك والزوال، وتسلك به مسالك التيه والتوهم والضلال، دون أن يشعر بفداحة ما هو فيه، وخطر ما يعتريه، وذلك كله إنما مرده إلى سوء الحسبان، الذي قد يهلك به الإنسان، لذلك سنقف في رياض القرآن وروضات جناته؛ لنعرف هذا الحسبان الخاطيء، لأجل اجتنابه والبعد عنه، ولننقذ أنفسنا من تصورات قد تورده موارد الهلاك، أو أقل ما تفعله أن تعكر صفو الحياة والسعادة الإيمانية، ولنرى كيف عالج القرآن هذا الحسبان؛ لنتمكن من تتبع الطرائق، ولنقف على الحقائق، ونسأل الله الإعانة والتوفيق.

الجانب اللغوي - أهميته:

لعل من المسلمات التي يستلزمها البحث هو الوقوف على أصول المادة اللغوية التي هي مناط الدراسة في هذا البحث، وهي مادة «الحسبان»، لاسيما وهو يعالج قضية إعجازية، وأن يستطلع تغيراتها الصرفية، من أجل إدراك حقيقة كنهها، وأسرار أساليب استعمالها، وسبب اختيارها في التعبير عن هذه المعاني.

ولا غرو أن ذلك يساعد ويسهم بصورة أشمل وأعمق في كشف وبيان الإعجاز البلاغي، لاسيما أن اللغة والصرف دورا في الإعجاز، وهناك بحوث علمية تناولت دور اللغة والصرف في الإعجاز البلاغي، نحو: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة^(٢)، المظاهر الصرفية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل^(٣)، جماليات تحوّل الوحدة الصرفية لدى النحاة والبلاغيين^(٤)، وغيرها من عناوين البحوث العلمية.

مادة «حسب»:

الناظر في القرآن الكريم يرى أنه وردت آيات كثيرة في مواضع من كتاب الله بالرد على الإنسان بالفعل «حسب» وما يتصرف من مادته من اشتقاقات؛ مثل: «يحسب، حسبوا، حسبتهم، يحسبهم، تحسبونه، يحسبون، لا تحسبن» هذه المادة وهذه المعاني التي تتعلق بالتصورات الخاطئة هي التي سيحاول هذا البحث رصدها، وقراءتها، خلا «أحسبني الشيء» بمعنى كفاني^(٥)، ومنه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾^(٦) أي: يكفيك الله^(٧)، وأيضا خلا «حسبان» الواردة في سورة الكهف فإنها بمعنى العذاب من نار وصواعق، قال الكفوي: "كل ما في القرآن من حسان فهو من العدد، إلا ﴿حسانا من السماء﴾ في «الكهف» فإنه العذاب"^(٧)، وهذا الاستثناء مرتبط ومبني على المعاني الأصلية

لهذه المادة في أصل جذرها اللغوي؛ إذ أنّ لها أربعة معان لغوية، وقد أشار إليها صاحب مقاييس اللغة^(٩): الأول: العَدُّ، والثَّانِي: الكِفَايَةُ، والثالث: الحُسْبَانُ، وهي جمع حسابانة، وهي الوسادة الصغيرة، والرابع: الأَحْسَبُ «الأبرص» الذي ابيضت جلده من داء؛ وهذه أربعة معان لمادة «حسب» ومصادرها حَسْبًا وحسابًا وحسابة وحسابا^(١٠). وهذه المعاني الأربعة من وجهة نظري يمكن أن ترجع إلى معنى واحد تنتظم فيه، لأنه من الأفكار التي ترد على ذهني وأؤمن بها، أنّ كل مادة لغوية لها في أصولها معنى لغوي واحد، ثم يتفرع عن هذا الأصل معانٍ لغوية متوالدة ومتكاثرة منه، وهذه الفكرة فكرة إرجاع المادة اللغوية إلى معنى واحد تنطلق منه، ولا تقف عنده، ويكون هو أساسها، ليس هذا المقام مقام بسطها وإيضاحها، وإنما مقامها بحث علمي يتناول هذه الظاهرة في اللغة، وليس في البلاغة، ولكن يكفي ما يلزم ذكره في هذا المقام، وما تستوجب نظرة البلاغي فيه، من النظر في أصل معنى مادة «حسب» ولو بإيجاز، لأجل إجلاء الصورة وبيانها، وطرح الفكرة لا الاقتصار على عنوانها، وعليه يرى المتأمل في هذه المعاني الأربعة التي ذكرها ابن فارس لهذه المادة أنه يمكنه إرجاعها لمعنى واحد وهو المعنى الأول الذي هو العَدُّ والحساب، فالكفاية لها مقدار، وهذا المقدار لا يعرف إلا بالحساب؛ فالكفاية لا تعرف إلا بالحساب، وهذا ما يؤكده ابن منظور في تبينه معنى «حسيبا» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(١١) فيقول: "أي: يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أي يكفيه"^(١٢)، والأزهري في تهذيبه له عبارة يمكن قراءتها في سياق عضد هذا التوجه؛ إذ يقول في مادة «حسب»: "وإنما سمي الحساب في المعاملات حسابا: لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان"^(١٣)، فالحساب هو الذي يُعلم به ما فيه الكفاية، فلا يمكننا معرفة الكفاية إلا من خلال الحساب، الذي يضبط المعيار، ويحدد المقدار، دون زيادة ولا نقصان،

وكذا يجري البحث على بقية المعاني بهذه الوتيرة، وعلى المنوال نفسه؛ بالتأمل، والتدبر، وإدراك العلاقات بين المعاني، ومعرفة الوشائج اللغوية، وإدراك الروابط في جذورها وتفريعاتها، ولا أود التعمق والإطالة في دراسة هذا المنحى، ولكن نكتفي بهذا العارض من الإلماح، الباعث على الكشف، المنبئ عن الوصف.

الجانب الصرفي:

ويمكن استكمال النظر في قراءة هذا الفعل «حَسِبَ» من جهة البنية الصرفية التي يرد منها، فإذا ما رجعنا إلى كتب الصرف وإلى المعاجم^(١٤) وجدناها تذكر أن فعل «حسب» ورد عن أهل العربية مثلث عين الكلمة في حالة كونه فعلا ماضيا، فهو يرد مفتوح العين، ومضمومها، ومكسورها، وهو بذلك يعدُّ من الأفعال القلائل التي ترد بهذه الصورة، ولعل هناك دلالات كثيرة يقرأها البلاغي تشبي بأنَّ الفعل متمكن في فعليته وبابه، بقوة معانيه، وتعدد مدلولاته، وكثرة استعمالاته، ودقة تعبيراته، وقدرته على تأدية المقاصد، وتحليلاته في إزالة غموض المراد، لأنه يرد من جميع الأبواب الثلاثة، حتى إنه عُتِنَ بالتبويب في كتب الصرف، فتجد عند الصرفيين «باب حسب»^(١٥)، وقد أشار إليه ابن مالك في لاميته فقال:

"وَجْهَانِ فِيهِ مِنْ أَحْسَبَ مَعَ وَغَرَّتْ وَحَرَّ... تَ أَنْعِمَ بَيَسَّتْ بَيَسَّتْ أَوْلَهُ يَيْسَنَ وَهَلَا"^(١٦)

ومعنى الوجهين أي: أن «حسب» المكسور في الماضي ترد عين مضارعه على وجهين؛ الكسر والفتح^(١٧)، قال صاحب تاج العروس: "(وَحَسِبُهُ كَذَا كَنَعِمَ) يَحْسِبُهُ وَيَحْسَبُهُ (في لغتيه) بالفتح والكسر (والكسر) أجود اللغتين"^(١٨)، وإن كان الكسر شاذًا قياسًا، إلا أنه فصيح استعمالًا، قال صاحب التفسير الكبير: "والكسر حسن لمجيء السمع به وإن كان شاذًا عن القياس"^(١٩).

ما ورد في القرآن من لغات «حسب»:

ورد عن العرب لغتان فصيحتان مشهورتان في «يحسب» بكسر السين وافتحها، وقد أشار النحاس في إعرابه^(٢٠) إلى تلك اللغتين، وقال مكّي بن أبي طالب "كسر السين في يحسب وفتحها لغتان مشهورتان"^(٢١).

وقد ورد بهما التنزيل قال العلامة صاحب العذب النمير: "فاعلموا أولاً أن (حَسِبَ) بكسر السين في مضارعها لغتان فصيحتان وقراءتان سبعيتان في جميع القرآن: (حَسِبَ يَحْسَبُ، وَحَسِبْتَ تَحْسَبُ). بفتح السين على القياس، و(حَسَبَ يَحْسَبُ) بكسر السين على السماع لا على القياس، وهما لغتان فصيحتان مستفيضتان وقراءتان سبعيتان"^(٢٢)، ولم يرد الفعل «حَسِبَ» في القرآن الكريم بغير هاتين اللغتين، وقد قرأ أربعة من القراء السبعة بكسر السين والباقيون بفتحها، قال صاحب سراج القاري على الشاطبية "وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي قرأوا ما جاء من يحسب مستقبلاً بكسر السين فتعين للباقيين القراءة بفتحها"^(٢٣) وقد أشار إلى ذلك صاحب كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم فقال: "قرأ أربعة من السبعة (حسب يحسب) بكسر السين في الماضي والمضارع وهم: نافع وأبو عمرو وابن كثير والكسائي في جميع القرآن. وقرأ الباقي بكسر السين في الماضي وافتحها في المضارع"^(٢٤)، والكسر لغة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل الحجاز، والفتح لغة تميم، قال ابن خالويه: "«يحسب» فعل مضارع: وفيه لغتان يَحْسَبُ وَيَحْسَبُ. فلغة رسول الله صلى الله عليه وآله الكسر، والماضي حسب بالكسر"^(٢٥)، وقال أبو حيان الأندلسي: "والفتح في السين لغة تميم، والكسر لغة الحجاز"^(٢٦) وقد أطلت فيهما النفس؛ لأنَّ هذين البابين من هذا الفعل هما اللذان وردا في القرآن الكريم.

وبقي «حُسب يحسب» بضم عين الكلمة في الماضي وفي المضارع^(٢٧)، قال الدكتور أحمد مختار في معجمه: "حُسبٌ يَحْسُبُ، حَسَبًا، فهو حَسِيبٌ"^(٢٨) وأيضاً ورد «حَسَب» مفتوح العين في الماضي، ويكون مضموم العين في المضارع^(٢٩)، قال صاحب التاج: [(حَسَبَهُ) كَنَصَرَهُ يَحْسِبُهُ (حَسَاباً) عَلَى الْقِيَاسِ، صرَحَ بِهِ ثَعْلَبُ وَالْجَوْهَرِيُّ، وَابْنُ سَيِّدِهِ]^(٣٠)

وقد ذكر السيوطي في المزهَر أنَّ «حَسَب» مفتوح العين في الماضي كما أن مضارعه يرد من باب «نصر»، يرد أيضاً من باب «ضرب» فيكون مكسور العين في المضارع، قال السيوطي ما نصه: "وقال بعضهم: يقال حَسَبَ يَحْسِبُ عَلَى مِثَالِ ضَرْبٍ يَضْرِبُ"^(٣١)، وبهذا نرى أن الفعل «حسب» ورد من جميع أبواب أوزان الفعل الثلاثي إلا باباً واحداً، وبعبارة أخرى ورد من خمسة أبواب إلا باباً سادساً لم يرد منه، وقليل من أفعال العربية ما يكون حظه بهذه الصورة، وفي ذلك دلالات أشرت إلى بعضها آنفاً.

ولا شك أن ذلك يساعد على شيء من الفهم للتعبير القرآني الدقيق الذي يدهشنا في إيصال مراده بالفعل «حسب» في قضايا مهمة تتصل بما يتصوره الإنسان وبما يعتقد، وهي قضايا بلا أدنى شك تعد من أدق القضايا، وأكثرها خطورة، وأعظمها أثراً، لأن سلوك الإنسان ينبي على تفكيره، وتصوراته، ومعتقداته، وعلى هذه المرتكزات الفكرية تتقارب نظراته وتعاملاته مع من حوله، وما حوله من أشياء مادية أو معنوية أو تتباعد.

وقد جاء الفعل «حسب» ليصحح للإنسان اعتقادات يراها صواباً وهي غير صواب؛ لأن غالب استعمالاته في الظن الخاطيء؛ قال العلامة السبكي عن «حسب»: "والغالب استعمالها في الظن المخطيء."^(٣٢)، ولندلف ونرى كيف جاء الاستعمال القرآني المعجز في تعبيرات الحسبان.

الحسبان المركَّب:

المراد بالحسبان المركَّب هو ما يشابه الجهل المركَّب؛ ومعنى ذلك أنه يكون هناك حسبان أول، ثم يأتي بعده حسبان آخر يرى أن الحسبان الأول هو الحسبان الحق، وغيره ضلال، فهنا مرحلتان، الأولى: أن يتم الاعتقاد بالأمر الضال، والإيمان به، والمرحلة الأخرى: أن يرى أن هذه الضلالة هي الهداية، فهاتان مرحلتان من الضلال، ولا شك أن هذه ظلمات بعضها فوق بعض، من الاعتقادات الفاسدة، والحسبان الخاطيء، والقرآن الكريم يكشف هذه الأمور ويجليها، ويصححها، حتى يتبين الهدى، ويتجلي الحق، وتنجلي الضلالة، وقد ورد هذا الحسبان المركَّب في التنزيل؛ ففي قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٣٣)؛ قال العلامة ابن عاشور عند تفسيره هذه الآية: "فولاية الشياطين ضلالة، وحسبانهم ضلالهم هدى ضلالة أيضا، سواء كان ذلك كله عن خطأ أو عن عناد، إذ لا عذر للضال في ضلاله بالخطأ، لأن الله نصب الأدلة على الحق وعلى التمييز بين الحق والباطل"^(٣٤) فقول ابن عاشور «وحسبانهم ضلالهم هدى ضلالة أيضا» يشير إلى أن الضلالة مركبة عندهم، وليست بسيطة . على لغة المناطقة، فهم ضالون، ولا يشعرون أنهم ضالون؛ بل المصيبة يعتقدون ويحسبون أنهم مهتدون، وعلى ذلك فلن ينتبهوا لخطأهم وضلالهم فضلا عن أن يعالجوه، و عليه فلا غرو أن تكون المصيبة مضاعفة؛ وتكون العاقبة وخيمة، وتكون النتيجة عكس ما يتوقعون، ويكون الجهل مركبا، فما أعظمها من مصيبة، كم من مفتون ضال لا يدري أنه مفتون ضال؛ نتيجة لحسبانه الخاطيء، وفساد قلبه وطويته، وسوء عمله ونيته، و لا يظلم ربك أحدا.

وهذا «الحسبان» المركب هو ما إخاله أرداهم إلى مهاوي الردى، و أشكل عليهم إشكالا كبيرا، ومنعهم من الالتفات، ودلّس عليهم الحقائق الواضحات؛ وصوّر لهم الأشياء بغير حقيقتها؛ لأنه حين يكون الحسبان الذي يحسبه الإنسان حسباناً خاطئاً ومركباً في الوقت نفسه، والطريق الذي يسير فيه طريقاً تائهاً خادعاً، بعيداً، فهذا يزيد من التعقيد، ويوقع في مزيد من الإشكالات؛ و يستلزم حينئذٍ من يصحح له مساره، ويكشف له سوء حسبانته وتفكيره وتقديره، في القضايا المهمة، والحوادث المدلّمة، بل في أصول منهجه، واعتقادات دينه، ورؤيته للحياة، والكون، والخلق، والغيبات^(٣٥).

الحسبان البسيط:

هو ما يقابل الحسبان المركّب، والحسبان البسيط هو الذي فيه حسبان واحد، وقد ورد في القرآن الكريم؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣٦)

قال عبد الرزاق في تفسيره هذه الآية: "فهو مثل ضربه الله لعمل الكافر يحسبه أنه شيء كما يحسب هذا السراب ماء، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئاً، ووجد الله عنده فوفاه حسابه"^(٣٧)

والحسبان البسيط في الآية أن الظمآن يرى السراب؛ فيحسبه ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فهذا حسبان واحد، ولكنه حسبان خاطئ؛ لأن الكفار يحسبون أن أعمالهم تنفعهم في الآخرة، قال ابن عاشور: "فَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ إِبْطَالًا لِحِسَابِهِمْ"^(٣٨).

وافتح الآية بقوله تعالى: «الذين كفروا» لأجل التشويق، والتقرير، ولتعلم أن للذين كفروا حظا في التشبيه التمثيلي لا لأعمالهم فقط، قال ابن عاشور مشيرا إلى تلك المعاني البلاغية: "ولم يجعل المسند إليه أعمال الذين كفروا من أول وهلة لما في الافتتاح بذكر الذين كفروا من التشويق إلى معرفة ما سيذكر من شؤوهم ليتقرر في النفس كمال التقرر وليظهر أن للذين كفروا حظا في التمثيل بحيث لا يكون المشبه أعمالهم خاصة." (٣٩).

وفي المجيء باسم الموصول «الذين كفروا» إيماء لوجه بناء الخبر؛ وذلك من خلال جملة الصلة «كفروا»؛ قال ابن عاشور: "وفي الإتيان بالموصول وصلته إيماء إلى وجه بناء الخبر، وهو أنه من جزاء كفرهم بالله" (٤٠).

والتعبير القرآني عبر بكلمة «سراب» دون كلمة «آل»؛ فهل ثمة فرق بينهما؟ نعم هناك فرق بينهما؛ ذكره علماء اللغة؛ فقالوا: "وإنما الآل: الذي يكون ضحى يرفع الشخوص، والسراب: الذي يكون نصف النهار كأنه ماء جار" (٤١) فما كان أول النهار فهو الآل، وما كان نصف النهار فهو السراب، فكأنه ماء جار، فهو أشد خداعا من الآل؛ وهو الأنسب بالمقام، لأنه يظهر شدة خداعه، وتغيره بالظمان.

والآية القرآنية الكريمة فيها تصوير قرآني بديع في تركيبه، دقيق في دلالاته، بليغ في تصويره، وهو تشبيه تمثيلي، يقول العلامة الرماني: "وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة" (٤٢). وقد عده أبو هلال العسكري من أجود التشبيه وأبلغه (٤٣)، لأنه يخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما هو محسوس ومدرك بالحاسة (٤٤)، وبلاغة هذا التشبيه وحسنه يفسر جانبا منها ابن سنان الخفاجي فيقول عنه: "والأصل في حسن التشبيه: أن يمثل الغائب الخفي الذي

لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد؛ فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه^(٤٥)، وبالفعل فقد ظهرت الصورة البيانية واضحة.

ثم يرى أن بلاغة الدلالة في استعمال لفظ «الظمان» بدل لفظ «الرائي» فيقول: "ولو قيل يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمان أشد حرصاً عليه وتعلق قلب به"^(٤٦)

فيأتي البيان من الحق سبحانه ليردّ على خطأ الإنسان في حسبانه، بآيات بينات، وتراكيب معجزات، تتطلب استدعاء النظر العميق، والتحصيل الدقيق في هذا الإعجاز البلاغي الذي أدهش ويدهش بتلك المعاني العميقة الدقيقة، وتلك الألفاظ المصطفاة الأنيقة.

الحسبان العام:

المراد به الذي يكون عاماً في العمل كله، يشمل الجزئيات جميعها، والتصورات كلها، فيحسب هذا المخدوع في حسبانه الضلال والغواية هداية؛ فتسحب هذا الاعتقادات الخاطئة على عمله كله؛ فيصبح سعيه ضلالاً، وهو من الأخسرين أعمالاً، قال تعالى في أواخر سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۖ﴾^(٤٧) إنها من كبرى المصائب، وعظمى الرزايا، هذا مكنن الخطر الرهيب، حين يظن الإنسان أن ما يفعله من الأعمال الضالة عن الحق، الخاسرة في الميزان، أمر مستحسن صنعه، محمود عاقبته، يرى تلك الأعمال هي عين الصواب، وينال بها الأجر والثواب، والآيات الكريمة جلت هذا المعنى على جهة العموم، ببلاغة عالية تراكيبيها، كثيفة دلالاتها وأفانينها،

تصب في خدمة المعنى الجليل الذي جاءت به، وحملت مراداته؛ فكان افتتاحها بلفظة «قل» من أجل الاهتمام بهذا النبأ العظيم، قال العلامة ابن عاشور: «وافتح الجملة بالأمر بالقول للاهتمام بالمقول بإصغاء السامعين لأن مثل هذا الافتتاح يشعر بأنه في غرض مهم»^(٤٨)، نعم الغرض مهم جدا؛ لأنه يتعلق بتصحيح فساد عمل يعتقد عاملوه أنه عين الصواب، وهو عين الضلال، ولذلك أعقب الافتتاح بالأمر من القول مجيء الاستفهام بعده ليؤكد أيضا أهمية الخبر، والاهتمام به، واستدراج المستمعين، قال العلامة عبد القاهر الجرجاني في الكتاب المنسوب له «درج الدرر في تفسير الآي والسور» عند تفسيره هذه الآية: «وفائدة الاستفهام استدراج المستمعين»^(٤٩) ومعنى استدراج المستمعين أي: أن الاستفهام بمعنى العرض؛ ومعنى العرض^(٥٠) هو الطلب برفق ولين؛ حتى يجعل المستمعين يتشوفون لهذا الطلب المعروض عليهم، قال العلامة ابن عاشور: «وكذلك افتتاحه باستفهامهم عن إنبائهم استفهاما مستعملا في العرض لأنه بمعنى: أتحبون أن ننبئكم بالأخسرين أعمالا، وهو عرض تهكم لأنه منبئهم بذلك دون توقف على رضاهم»^(٥١) ففي هذا النص يشير الطاهر ابن عاشور إلى ثلاثة معان بلاغية؛ المعنى الأول: هو أن المعنى البلاغي للاستفهام هو العرض «أتحبون أن ننبئكم بالأخسرين أعمالا». والمعنى الآخر: هو معنى التهكم الموصوف به هذا العرض؛ «وهو عرض تهكم لأنه منبئهم بذلك دون توقف على رضاهم»، والمعنى الثالث: أن المجيء بأسلوب الاستفهام من أجل الاهتمام بالخبر، «وكذلك افتتاحه باستفهامهم»، لأنه معطوف على قوله السابق «وافتح الجملة بالأمر بالقول للاهتمام بالمقول بإصغاء السامعين».

وفي هذه الآيات أيضا التفات بديع من الخطاب «هَلْ تُبْئِكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» إلى الغيبة «الذين ضل سعيهم»؛ إذ في الالتفات اهتمام بالخبر وفيه تنبيه،

وتحذير، وترويع للمشركين الذين وُجِّه لهم هذا الخطاب، قال ابن عاشور: "وفي قوله بالأخسرين أعمالا إلى آخره... تلميح إذ عدل فيه عن طريقة الخطاب بأن يقال لهم: هل ننبئكم بأنكم الأخسرون أعمالا، إلى طريقة الغيبة بحيث يستشرفون إلى معرفة هؤلاء الأخسرين فما يروعههم إلا أن يعلموا أن المخبر عنهم هم أنفسهم" (٥٢) وأرى نكتة بلاغية أخرى في الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في هذه الآية الكريمة هي الازدراء مما صنعوه؛ لأنه من كانت حاله هكذا فهو لا يستحق أن يوجَّه له الخطاب وإنما يُتجاهل فيعدل من التحدث إليه والخطاب معه إلى الغيبة.

وأیضا فإن الغرض البلاغي من إلقاء الخبر في هذه الآيات هو التوبيخ لهم والتنبية على غفلتهم قال ابن عطية: "قال تعالى: هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الآية المعنى: قل لهؤلاء الكفرة على جهة التوبيخ" (٥٣)

والآيات زاخرة بفنون البلاغة وأفانينها كي تعزز أهمية هذا المعنى؛ فالناظر يرى المجاز العقلي في قوله تعالى «ضل سعيهم» حين أسند الضلالة إلى السعي، فهم ضلوا في سعيهم، فقد جعل التركيب القرآني السعي هو الضال، والسعي في اللغة (٥٤) هو العدو دون الشد، أو المشي السريع، والمقصود به في الآية هو العمل؛ ويعد هذا من باب المجاز اللغوي قال صاحب البحر المحيط: "السعي هنا العمل، وهو مجاز سائغ في استعمال العرب" (٥٥)، وهناك الإطناب بين «الأخسرين أعمالا» وبين «الذين ضل سعيهم» لأنه بدل منه (٥٦)، والغرض البلاغي من هذا الإطناب زيادة التشويق، قال صاحب التحرير والتنوير: "وقوله «الذين ضل سعيهم» بدل من «الأخسرين أعمالا» وفي هذا الإطناب زيادة التشويق إلى معرفة هؤلاء الأخسرين حيث أجرى عليهم من الأوصاف ما يزيد السامع حرصا على معرفة الموصوفين بتلك الأوصاف والأحوال" (٥٧). ما يجري مجرى المثل:

حتى إنه مما يزيد في تعميق هذا المعنى وبنائه وتأصيله روعة الجنس (٥٨) بين «يحسون» و «يحسون»، وقد عدّهما صاحب كتاب الإعجاز والإيجاز (٥٩) ضمن فصل فيما يجري مجرى المثل من ألفاظ القرآن الكريم.

شأن التنزيل:

كل تلك النكات البلاغية المتكاثرة غير المتزاحمة لأجل أهمية الغرض المسوق له هذا الخبر، وتبقى الآيات زاخرة بأنواع الأبحاث البلاغية لمن تأملها، وأنعم النظر فيها، وقد أبدع السكاكي إذ يقول في مفتاحه - بعد نظره البلاغي في آية من القرآن الكريم: "ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، ولا تظن الآية مقصورة على ما ذكرت، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت؛ لأن المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان" (٦٠)

هل الحسبان العام عام أم خاص؟

يرى العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآيات عموميتها قال رحمه الله: "وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود، كما قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية﴾ وقوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ وقال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾" (٦١)، وهذا التعميم الذي يراه العلامة ابن كثير في الآية يستوجب معرفة المقصود منه، والمراد به، لأنه إن أراد به عموم الكفرة من اليهود والنصارى، وكفار مكة، و المشركين والرهبان وغيرهم فمقبول وحسن، وإن أراد به الإطلاق فغير مقبول؛ لأنه يلزم من تعميمه دخول فئة من المسلمين في هذا التعميم ممن

يعتقدون أنهم يحسنون صنعا وهم ضالون في عملهم، خائبون في سعيهم، وهذا التفسير الأخير لا يتفق مع سياق الآيات نفسها التي تتحدث عن الكفار لا عن المسلمين، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا﴾ ﴿(٦٢)﴾ فسياق الآيات واضح، وأيضا هذا التعميم لا يتفق مع الأقوال التي ذهب إليها غالب المفسرين، يلخص تلك الأقوال جلال الدين السيوطي في تفسيره فيقول: "قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم القسيسون والرهبان، قاله علي، والضحاك. والثاني: اليهود والنصارى، قاله سعد بن أبي وقاص" (٦٣)

ولا يتفق التعميم مع النظر إلى آيات أخرى في كتاب الله تتحدث عن أن الضلال غالبا مرتبط بالكافرين، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٦٤). وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٦٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٦).

وأیضا مما يعضد ما الحديث بصدده؛ وهو خصوصية الكفار، بهذا المعنى الذي هو الحكم على السعي كله بالضلال. وعلى الأعمال كلها بالوبال. مع اعتقادهم بصواب سعيهم، وأنهم يحسنون صنعا، وأنهم مهتدون، قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٦٧)

فهذا الحسبان في الآية الكريمة يشير بوضوح، ويقرر بجلاء أن الضلالة العامة في جميع الأعمال هي من نصيب الكفار الذين حقت عليهم، ولا تشمل من هدى الله؛ إذ الآية الكريمة صريحة بتقسيم الناس إلى فريقين لا ثالث لهما، وقد ذكرنا آنفا كلام العلامة ابن عاشور فيها، وإنما أعيدت في هذا السياق لتعزيد هذا الغرض وتعزيزه.

الثراء البلاغي في حسان عجيب:

هذا حسان عجيب، يعيش به المنافقون في الدنيا، ويستمر معهم في الآخرة، ففي الدار الآخرة يخلف المنافقون لله أنهم مؤمنون كما كانوا يخلفون للمؤمنين في الدنيا، ويحسبون أنهم على شيء، يقول جل شأنه، وتعالى كلمته: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٦٨) فهذه الجملة القرآنية، والتعبير القرآني، فيه من الدلالات التي تصور أن هؤلاء المنافقين لا يملكون شيئاً نافعا يستندون إليه ولا عليه، فهم مجردون من أي شيء، و لا يقفون على أي شيء، وليس معهم شيء، وهذه كلها تفهمها دلالة كلمة «شيء»، وصفة «شيء» محذوف تقديره «نافع» يفهمه السياق؛ قال صاحب البحر المحيط: "ويحسبون أنهم على شيء: أي شيء نافع لهم"^(٦٩) وهو من إيجاز الحذف؛ ونظيره ما ذكره صاحب المطول من أن المحذوف قد يكون صفة لموصوف نحو: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(٧٠) أي: صحيحة، أو تقدر نحوها مما يماثلها من الصفات بدليل ما قبله^(٧١)

وحذف الصفة وبقاء الموصوف قليل في الاستعمال، وعكسه كثير، قال ابن مالك في ألفيته:

"وما من المنعوت والنعته عقل... يجوز حذفه وفي النعت يقل" (٧٢)

وحرف الاستعلاء «على» يفيد في هذا التركيب الإعجازي الاستعلاء المجازي؛ ومعناه شدة التلبس بالوصف، (٧٣) حتى إن العلامة الزمخشري تعجب من شدة تلبسهم بالوصف؛ فقال: "ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل" (٧٤)

ويفسر ذلك العلامة البيضاوي فيقول: "لأن تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل إليهم في الآخرة أن الأيمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا" (٧٥) والمفارقة العجيبة التي تلفت الانظار في هذا الحسبان أنه في دار هي دار الحساب التي لا تخفى فيها خافية، وليس في دار التكليف الدار الدنيا التي يمكن للمنافقين فيها المخادعة.

الحسبان المتعدد:

المراد بالحسبان المتعدد في القرآن الكريم ما يتناول أكثر من قضية في حسبان واحد؛ ينبه فيه على الخطأ الذي يعتقده الإنسان، فيلفت النظر، ويبين عظيم الخطر؛ وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (٧٦) فالحسبان يعني بأمرين بالغى الأهمية؛ الأمر الأول: أن خلق العباد ليس عبثاً وإنما لأجل حكمة بالغة وغاية عظيمة وهدف سام، والأمر الثاني: أن المرجع بعد الموت إلى الله سبحانه وتعالى، وسيكون بعث ونشور. يقول العلامة ابن كثير في تفسيره هذه الآية "وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا

حكمة لنا، ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾، يعني هملا^(٧٧)

فالعلامة ابن كثير فسر الحسبان بالظن؛ وهناك فرق بين الحسبان والظن؛ وسأرجئ بحثه في آخر هذا المطلب.

والآية الكريمة قد صدرت بالاستفهام؛ ومجيء الاستفهام وتصدره لأجل الاهتمام بالخبر^(٧٨)، والاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى بلاغي يشير إلى ذلك العلامة البيضاوي فيقول: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا تويخ على تغافلهم"^(٧٩)، فالتويخ هو المعنى البلاغي؛ وهو تويخ على حسابهم الفاسد، واعتقادهم المريض؛ بأنهم خلقوا في هذه الحياة الدنيا لأجل العبث، وهذا الاعتقاد محال في حق الله سبحانه، فتعالى الله عما يصفون، ومحال أيضا في حق التفكير الصحيح، والعقل الواعي الرجيح، وخروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى هذا المعنى البلاغي إنما استدعاه تويخهم على هذا الانحدار في التفكير المتهاوي إلى دركات اللامنطق و لا معقول، فهذا تفكير لا يستند إلى قرينة، و لا ينهض به دليل، بل لا تجري به محيلة سليمة بله عقل.

وقد وافق العلامة العليمي المقدسي البيضاوي على هذا المعنى البلاغي للاستفهام في الآية؛ فقال: "وهو تويخ على تغافلهم"^(٨٠)، وأيضا وافقهم العلامة الألوسي فقال: "وفي الآية تويخ لهم على تغافلهم وإشارة إلى أن الحكمة تقتضي تكليفهم وبعثهم للجزاء"^(٨١)، وقد وافقهم أيضا صاحب التفسير المنير^(٨٢) وصاحب أيسر التفاسير^(٨٣)، لكن العلامة ابن عاشور وافقهم وأضاف معنى آخر للاستفهام وهو التقرير؛ فقال: "والاستفهام تقرير وتويخ لأن لازم إنكارهم البعث أن يكون خلق الناس مشتلا على عبث فنزلوا منزلة من حسب ذلك

فقرروا ووبخوا أخذاً لهم بلازم اعتقادهم^(٨٤) فمعنى التوبيخ واضح جداً، وأما التقرير فهو من لازم إنكارهم البعث؛ إذ يلزم من إنكار البعث أن الخلق خلقوا عبثاً، لذلك جاء معنى التقرير الذي هو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده^(٨٥)، فالعلامة ابن عاشور أنفرد في استظهار نكتة التقرير في هذا التركيب، وقد وضحها وشرحها، بينما نجد صاحب الوسيط يذكر معنيين اثنين لمعنى الاستفهام، فقال: "والاستفهام في قوله تعالى: أفحسبتم أمّا خلقناكم عبثاً... للإنكار والنفي"^(٨٦)، وهما معنيان يضافان إلى المعاني البلاغية السابقة، ليزداد ثراء الدلالات، ولتتكاثر المعاني، ولتذهب النفوس في استظهار ما يكون في مقدورها الوصول إليه، والوقوف عليه، وسبر أغوار خصائص دلالاته، ودقائق بناء تراكيب آياته، حتى تقع هذى المعاني في النفس مواقعها، وليعلم خطر و فداحة حسبان يودي بأصحابه إلى الهلاك، ويرميهم في أتون أردى شرك، فكيف يظن عاقل هذه الظنون العبثية، في حكمة رب البرية، الذي لم يخلق خلقه عبثاً، ولن يتركهم سدى، وفي هذا الاستفهام في الآية الكريمة ترد معاني التوبيخ، والتقرير، والنفي، و الإنكار، وهذان المعنيان البلاغيان الأخيران؛ الإنكار؛ والنفي، يشيران إلى حقيقة استفهام التقرير.

حقيقة استفهام التقرير:

إذ أن التقرير في حقيقته هو استفهام إنكار، واستفهام الإنكار هو نفي، وقد أشار إلى ذلك صاحب الكليات فقال: (وحقيقة استفهام التقرير إنكار، والإنكار نفي)^(٨٧)، وتابعه صاحب الموسوعة القرآنية فقال: (وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي)^(٨٨)، وقد بحثت فوجدت من سبقهم إلى هذا المعنى، وقد أشار إليه مثل العلامة الزركشي في البرهان^(٨٩)، والعلامة السيوطي في معترك الأقران^(٩٠)، وفي الإتقان^(٩١)، فالمعنى متقرر لاستفهام التقرير

وحقيقته، ومبين في كتب هؤلاء الأئمة الكبار، وهي نكات بلاغية لها دلالاتها، ومعانيها، التي وضحتها في معاني الاستفهام في هذه الآية.

الفرق بين الحسبان والظن:

عودا على بدء في ما تم الوعد به من التفريق بين الحسبان والظن، وذلك لأن العلامة ابن كثير في تفسيره هذه الآية الكريمة؛ فسر الحسبان بالظن «أي: أفظننتم» ولا يخفى أن هناك فرقا دقيقا بين الحسبان والظن، فالظن هو ترجيح بين أمرين؛ فيكون أحدهما راجحا والآخر مرجوحا، بينما الحسبان هو حكم لأمر دون النظر إلى غيره؛ وقد أشار إلى ذلك الراغب الأصفهاني في مفرداته فقال: "والحسبان: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظن، لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما على الآخر" (٩٢)

الحسبان المفرد:

المراد به الذي يعالج قضية واحدة؛ فيفردا بالمعالجة، ويخصها وحدها بحسبان خاطئ واحد، وينبه عليها، ويلفت النظر إليها، وقد ورد في القرآن الكريم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (٩٣)، قال الطبري في تفسيره هذه الآية: (يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه، وبخل بإنفاقه، مخلده في الدنيا، فمزبل عنه الموت) (٩٤) فهو يحسب و يتصور هذه التصورات الخاطئة عن المال، حتى بلغ به التصور أن المال سيكون سبب خلوده، وسيكون سبب بقاءه، ولا شك أن هذه التصورات راجعة لعمى البصيرة، و لقلّة الإدراك، وقلّة العقل، يقول البقاعي في الدرر: "﴿يحسب﴾ لقلّة عقله ﴿أن ماله﴾ أي ذلك الذي عدده ﴿أخلده﴾ أي أوصله إلى رتبة الخلد في الدنيا، فأحب ذلك المال

كما يجب الخلود^(٩٥)، وربما تكون هذه الجملة القرآنية كناية^(٩٦) عن عمل من ينهك في المعاصي، ويجعل عمله كله في أمور الدنيا، ويعرض إعراضاً عن الآخرة، عمل من يظن أنه لا يموت، وهكذا فسرها الزجاج في معاني القرآن، فلم يزد على ذلك شيئاً، فقال: "قوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يموت"^(٩٧)، وقد نقلها عنه الخازن في تفسيره^(٩٨)، وربما في هذه الجملة القرآنية تعريض بأن العمل الصالح هو الذي يخلد صاحبه، قال الزمخشري في كشافه: "هو تعريض بالعمل الصالح. وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم، فأما المال فما أخلد أحداً فيه"^(٩٩)، وقد وافقه البيضاوي على ذلك فقال: "وفيه تعريض بأن المخلد هو السعي للآخرة"^(١٠٠)، ووافقهما على معنى التعريض النسفي^(١٠١)، والبقاعي^(١٠٢)، وأبو السعود^(١٠٣)، والشوكاني^(١٠٤).

ولعل الإعراب^(١٠٥) يكشف لنا جوانب بيانية وبلاغية أخرى في هذه الجملة القرآنية، فهي تحتمل أن تكون جملة حالية، وتحتمل أن تكون جملة استئنافية، و تحتمل أن تكون جملة استفهامية حذف منها همزة الاستفهام؛ وعلى كل وجه من هذه الوجوه الإعرابية يمكن استظهار نكات بلاغية، ودقائق بيانية، فإذا كانت حالية يشير صاحب التحرير والتنوير إلى الوجوه البلاغية المستخلصة منها؛ فيقول: "وجملة: يحسب أن ماله أخلده يجوز أن تكون حالاً من همزة فيكون مستعملاً في التهكم عليه في حرصه على جمع المال وتعيده لأنه لا يوجد من يحسب أن ماله يخلده، فيكون الكلام من قبيل التمثيل، أو تكون الحال مراداً بها التشبيه وهو تشبيه بليغ"^(١٠٦) فهذان وجهان بلاغيان؛ إما أن تكون الحال للتهكم بهذا الهمزة للتميز على سبيل التمثيل، أو تكون الحال يقصد بها التشبيه لحالة صاحب الحال وهو الهمزة للتميز، ونوع التشبيه تشبيه بليغ؛ فقد حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه.

وإذا كانت الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا؛ فتكون الجملة خبرية مستعملة في الإنكار، قال ابن عاشور: "ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة والخبر مستعملا في الإنكار" (١٠٧).

وإذا كانت الجملة استفهامية؛ حذفت منها أداة الاستفهام، فيكون الاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى بلاغي وهو التهكم من تلك الحالة، والتعجب منها (١٠٨).

والإظهار في موقع الإضمار للفظه «المال» لأجل التقرير والتوبيخ (١٠٩)، وأيضا ولزيادة التهكم به جيء بصيغة الماضي بدل المضارع في الفعل «أخلده» فكأن الخلد تحقق له في هذه الحياة الدنيا (١١٠).

حسبان الخداع البصري:

قد ينخدع البصر، ويزيغ النظر؛ فتكون رؤية الشيء على غير حقيقته؛ ويحسبه البصر على غير ما هو له، فما كل ما تصوره العين، يكشفه الذهن، فإذا كان هذا في المحسوسات والموجودات الخارجية، فكيف بالأمر المعنوية، والمعاني غير الحسية؟، ألا تكون أكثر مجالا لانخداع الذهن؟ ووقوع الوهم؟، وهذا يتطلب دون أدنى شك وريب أن يتحرى المرء دقة الفهم، وحسن التعبير، في فهم ما يرد، وطرح ما يريد؛ لأن الإنسان إذا لم يفعل ذلك، سيكون عرضة للتصورات الذهنية الخاطئة، فيحسب الشيء على غير حقيقته، ويراه على غير طريقته، حتى فيما هو حسي، وموجود خارجي، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قصة بلقيس، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١١).

وخلاصة تفسير هذا المشهد القرآني من قصة ملكة سبأ ما لخصه صاحب مختصر تفسير ابن كثير، إذ يقول: "وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرا عظيما من قوارير أي من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه، قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان: ثم قال لها ادخلي الصرح ليريهها ملكا هو أعز من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها، فلما رآته حسبته لجة، وكشفت عن ساقها لا تشك أنه ماء تخوضه، فقيل لها ﴿إنه صرح ممرد من قوارير﴾ فلما وقفت على سليمان، دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها في عبادة الشمس من دون الله، قالت: ﴿رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ فأسلمت وحسن إسلامها" (١١٢)

فقد رأت ملكة سبأ الصرح الممرد من قوارير، وهذا حقيقة ما رأت، لكن الذهن حسبه لجة من الماء، وهذا حساب ذهني، استدعى حسابا سلوكيا في التعامل مع هذه اللجة؛ فكشفت عن ساقها، فقد خدعت العين الذهن، فجعلت قراءته وحسابه حسابا خاطئا، وهذا هو حساب الخداع البصري.

ولا يفوتني في نهاية هذا المبحث التنبيه على أن قصة سبأ مع نبي الله سليمان، حفلت بإيراد قصص أهل الكتاب، حتى إن العلامة ابن كثير حذر من ذلك (١١٣)، وأيضا العلامة ابن سعدي حذر من ذلك وقال: "فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير، والله أعلم" (١١٤)

الحسبان المؤكد للحقيقة البصرية:

خلاف الحسبان السابق الموسوم بالخداع البصري، هذا حساب يقيني في أصله، لأنه يقف على حقيقة ما هو موجود ويؤكد؛ ويقراه قراءة صحيحة،

لا لبس فيها، ولا وهم، ولا خداع، فمن هذا الجانب فهو يقيني في رؤيته الشيء المحسوس الموجود على ما هو عليه، وقد ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾^(١١٥)، قال النسفي في تفسيره: ﴿ويطوف عليهم ولدان﴾ غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدمة لأهل الجنة ﴿مخلدون﴾ لا يموتون ﴿إذا رأيتهم حسبتهم﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاتهم في مجالسهم ﴿لؤلؤا منثورا﴾ وتخصيص المنثور لأنه أزين في النظر من المنظوم^(١١٦) فالفعل «حسبتهم» يفيد التشبيه، أو بالأصح ينبئ عن التشبيه، إذ أن البلاغيين أشاروا في مؤلفاتهم تصريحاً أو تلميحاً^(١١٧) إلى الفعل «حسب»، قال صاحب تلخيص المفتاح عند ذكره أدوات التشبيه: "وقد يذكر فعل ينبئ عنه؛ كما في: «علمت زيدا أسدا» إن قرب، و: «حسبت» إن بعد"^(١١٨)، والفعل في الآية الكريمة «حسبتهم لؤلؤا منثورا» ينبئ عن التشبيه؛ والتشبيه هو تشبيه الولدان المخلدون باللؤلؤ المنثور؛ في حسنهم، وصفائهم، وانتشارهم في الخدمة، وقد ذكر العلامة الزمخشري ذلك فقال: "شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاتهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور"^(١١٩)، وهذا هو وجه الشبه بين الولدان وبين اللؤلؤ المنثور، وتقييد اللؤلؤ بالمنثور لأجل انتشارهم، ولأنه أزين في النظر كما قال العلامة النسفي آنفاً، وقد أشار العلامة ابن عاشور إلى وجه التقييد؛ فقال: "وشبهوا باللؤلؤ المنثور تشبيهاً مقيداً فيه المشبه بحال خاص لأنهم شبهوا به في حسن المنظر مع التفرق"^(١٢٠)، ويرى العلامة البقاعي نكتة بلاغية أخرى بأن ذلك كناية عن الكثرة والانتشار؛ فيقول: ﴿لؤلؤا منثورا﴾ وذلك كناية عن كثرتهم وانتشارهم في الخدمة وشرفهم وحسنهم^(١٢١)، ويرى العلامة ابن عاشور أن هذا التشبيه مراد به التشابه، فيقول: "وتركيب «إذا رأيتهم حسبتهم» مفيد للتشبيه المراد به التشابه"^(١٢٢)، والتشابه يكون بين طرفي التشبيه عندما يتساويان في المعنى المشترك بينهما؛ ولا يكون لأحدهما

مزية على الآخر؛ فيصح أن يكون كل منهما مشبها ومشبها به، يقول العلامة القزويني في تلخيصه في باب التشبيه: "هذا إذا أريد إلحاق الناقص - حقيقة أو ادعاء - بالزائد، فإن أريد الجمع بين شيئين في أمر: فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه؛ احترازا من ترجيح أحد المتساويين"^(١٢٣)، وعلى هذا فإن هناك تشابها بين الولدان المخلدين وبين اللؤلؤ المنثور في المعنى المشترك بينهما؛ من حسن المنظر، وجماله، وبياضه، وصفائه، وانتشاره، وتفرقه، وانبثائه.

ويرد على الذهن سؤال في هذا المقام؛ ما هو السر البلاغي في التعبير القرآني بالفعل «حسب» في «حسبتهم لؤلؤا منثورا» دون الفعل «علم»؟، علما إن كلا الفعلين ينبئ عن التشبيه.

ويجيب العلامة البقاعي عن هذا التساؤل؛ فيقول: "وكأنه عبر بالحسبان إشارة إلى أن ذلك مطلق تجويز لا مع ترجيح"^(١٢٤)، فعبارته دقيقة جدا؛ لأنه يتكلم في سر التعبير البياني في كلام الله، فهو لا يجزم، بل بدأ بقوله: «وكأنه عبر بالحسبان» ثم ذكر السر البلاغي الذي توصل إليه بأنه يرجع إلى أن الحسبان مطلق تجويز بين طرفي التشبيه وهما الولدان المخلدون واللؤلؤ المنثور، لا أن أحدهما يرجح على الآخر؛ وهذا ما أشار إليه العلامة ابن عاشور بأن هذا التشبيه يراد به التشابه، وقد ذكرت كلامه وبينته آنفا، وذلك احترازا من ترجيح أحد المتساويين.

وفي نهاية هذا البحث الممتع تطوفه، في روضات جنات القرآن، ورياض جنبات البيان، عن تعبيرات الحسبان التي تزخر بها آيات القرآن، قد عرجنا على جوانب من استعمال التعبير القرآني له، ويمكن تلخيص أهم نتائجه في الآتي:

النتائج

- ١- البلاغة التطبيقية هي السبيل الأنجع في استظهار أسرار البلاغة لاسيما على الآيات القرآنية.
- ٢- البلاغة قد تصل إلى علم الصرف من جهتين؛ جهة تصريف الكلمة حالة كونها فعلا، وجهة بنيتها التركيبية.
- ٣- الفعل «حَسِبَ» ورد من جميع أبواب الفعل الصرفية عدا بابا واحدا، وهذا يشي من الوجهة البلاغية بكثافة المعاني التي يحملها، ويعبر عنها.
- ٤- التعبير القرآني عبر بصيغتين اثنتين للفعل «حَسِبَ» إحداهما فصيحة استعمالا، وشاذة قياسا؛ ليفتح باب النظر في المصطلحات الصرفية.
- ٥- الحسبان والظن، إذا افترقا اجتماعا، وإذا اجتمعا افترقا.
- ٦- هنالك فرق بين الحسبان والظن، فالأول حكم، والثاني ترجيح.
- ٧- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة من نكاته البلاغية ازدياد المخاطب، وتحقيره، وأنه ليس جديرا ولا حقيقا بالتحدث معه.
- ٨- الحسبان لا يقتصر على الأمور المعنوية من الاعتقادات الخاطئة، ولا التصورات الفكرية الفاسدة، بل يصل إلى الأمور الحسية؛ مما تراه العين؛ فيزيغ معها البصر.
- ٩- مما يثير التعجب أن بعض الاعتقادات الفاسدة وتصوراتها، لشدة رسوخها في ذهن معتقديها؛ تصحبهم بعد موتهم، وتكون معهم في الدار الآخرة، رغم ضعفها وهشاشتها.
- ١٠- من الآيات القرآنية في الحسبان ما يجري مجرى المثل نحو قوله تعالى: [ويحسبون أنهم يحسنون صنعا] وقوله تعالى: [ويحسبون أنهم على شيء]

١١- الحسبان المركب من أشد أنواع الحسبان؛ لأنه يعتقد اعتقادا فاسدا؛ ويرى أن هذا الاعتقاد هو عين الصواب.

١٢- أنواع الحسبان متعددة؛ حاول الباحث رصدها، أو رصد بعض منها في ثنايا هذا البحث.

الهوامش والتعليقات:

- (١) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى ٨ / ٤٧٤١، ومنهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، د. مصطفى محمد حلمي ١٤٥، والمباحث الغيبية، د. عبد الشكور العروسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد ١٣، العدد ٢١، ١٤٢١هـ، ٦٥.
- (٢) هذا عنوان كتاب كان في أصله رسالة دكتوراه للدكتور عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ٢٠٠٨ م - ١٤٢٩ هـ.
- (٣) بحث علمي للدكتور سليمان علي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، جامعة الأغواط في الجزائر، السنة الرابعة، العدد الثامن.
- (٤) بحث علمي للدكتور سامي عوض وعادل نعام، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٨) العدد الأول، ٢٠٠٦ م.
- (٥) ينظر: الصحاح للجوهري ١١٠/١ والمخصص، لابن سيده ٤ / ٢٣٦.
- (٦) سورة الأنفال: ٦٤.
- (٧) ينظر: تفسير الطبري ١٤ / ٥٠.
- (٨) الكليات القفوي ٣٥٩.
- (٩) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس ٢ / ٦١.
- (١٠) ينظر: الصحاح، للجوهري ١ / ١٠٩ وما بعدها.
- (١١) سورة النساء: ٨٦.
- (١٢) لسان العرب، لابن منظور ١ / ٣١٢.
- (١٣) تهذيب اللغة، للأزهري ٤ / ١٩٢.
- (١٤) ينظر: الصحاح، للجوهري ١ / ١٠٩ وما بعدها، ولسان العرب، لابن منظور ٢ / ٣٠١ وما بعدها، وتاج العروس، للزبيدي ٢ / ٢٦٧ وما بعدها.
- (١٥) ينظر: إيجاز التعريف في علم التصريف، لابن مالك ١٩٢، وشرح شافية ابن الحاجب، للرضي ١ / ١٢٧، وفتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال، للرائقي ١٨٨، وشذا العرف في فن الصرف ٢٣، ٢٥.
- (١٦) شرح ابن الناظم على لامية الأفعال لابن مالك ٢٨.
- (١٧) ينظر: المنصف لابن جني، ٢٠٨، والعمد، للجرجاني ١٠٤، وكتاب الأفعال، لابن القطاع ١٢/١.

- (١٨) تاج العروس، للزبيدي ٢ / ٢٧٧.
- (١٩) مفاتيح الغيب، للرازي ٧ / ٦٨.
- (٢٠) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ٤ / ٨١.
- (٢١) مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب ٢ / ٨٤٢.
- (٢٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، لمحمد الأمين ٥ / ١٤٥.
- (٢٣) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لابن القاصح ١٦٨ .
- (٢٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عزيمة ٥ / ١٢٤.
- (٢٥) إعراب ثلاثين سورة، لابن خالويه ٨٨.
- (٢٦) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ٢ / ٦٩٧.
- (٢٧) ينظر: الصحاح: للجوهري ١ / ١١٠، ولسان العرب، لابن منظور ١ / ٣١٠، والمعجم الكبير، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٥ / ٣١٥.
- (٢٨) معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار ١ / ٤٨٨.
- (٢٩) ينظر تهذيب اللغة، للأزهري ٤ / ١٩٢، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ٣ / ٢٠٦، ولسان العرب، لابن منظور ١ / ٣١٣ .
- (٣٠) تاج العروس، للزبيدي ٢ / ٢٦٧.
- (٣١) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي ١ / ٢٠٩.
- (٣٢) عروس الأفراح، لابن السبكي ٢ / ٦٩.
- (٣٣) الأعراف: ٣٠.
- (٣٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٨-ب / ٩٢.
- (٣٥) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، لسيد قطب ١١.
- (٣٦) النور: ٣٩.
- (٣٧) تفسير عبد الرزاق ٢ / ٤٤٢.
- (٣٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٨ / ٢٥١.
- (٣٩) المرجع السابق.
- (٤٠) المرجع السابق.
- (٤١) المتجدد في اللغة، لكراع النمل ١٠٩.
- (٤٢) النكت في إعجاز القرآن، للرماني ٨٢.
- (٤٣) ينظر الصناعتين، لأبي هلال العسكري ٢٤٠.

- (٤٤) ينظر العمدة، لابن رشيق ١ / ٢٨٧، وتحرير التحبير، لابن أبي الاصبغ ١٥٩، علم البيان، لعبد العزيز عتيق ٧٤.
- (٤٥) سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي ٢٤٦.
- (٤٦) المرجع السابق.
- (٤٧) الكهف: ١٠٣، ١٠٤.
- (٤٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٦ / ٤٥.
- (٤٩) درج الدرر في تفسير الآي والسور، المنسوب لعبد القاهر الجرجاني، ط دار الفكر، ٢ / ٢٦٠.
- (٥٠) ينظر حاشية العدوي على شذور الذهب ٢ / ١٤٢، وتجريد البناني على مختصر السعد ٣٩ / ٢.
- (٥١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٦ / ٤٦.
- (٥٢) المرجع السابق.
- (٥٣) المحرر الوجيز، لابن عطية ٣ / ٥٤٥.
- (٥٤) ينظر المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ٢ / ٢٢١، ولسان العرب، لابن منظور ١٤ / ٣٨٥، والمفردات، للراغب ٤١١، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي ٢ / ٢٠٠ والكلييات، للكفوي ٥٠٩.
- (٥٥) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ٢ / ٣٢٨.
- (٥٦) ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي ٧ / ٥٥٢ والجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود صافي ١٦ / ٢٥٩.
- (٥٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٦ / ٤٦.
- (٥٨) ينظر: المثل السائر، لابن الأثير ١ / ٢٦٩، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، للدكتور المطعني ٢ / ٤٣٧، وفلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، للدكتور رجاء عيد ٤٦٠.
- (٥٩) ينظر: الإعجاز والإيجاز، للثعالبي ١٩.
- (٦٠) مفتاح العلوم، للسكاكي ٤٢١.
- (٦١) تفسير ابن كثير ٥ / ٢٠٢.
- (٦٢) الكهف: من آية ١٠٢ إلى آية ١٠٦.
- (٦٣) زاد المسير في علم التفسير، للسيوطي ٣ / ١١٢.
- (٦٤) محمد: ١.

- (٦٥) محمد: ٨.
(٦٦) النساء: ١٦٧.
(٦٧) الأعراف: ٣٠.
(٦٨) المجادلة: ١٨.
(٦٩) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ١ / ١٢٠.
(٧٠) الكهف: ٧٩.
(٧١) ينظر: المطول، للتفتازاني: ٤٨٦.
(٧٢) ألفية ابن مالك ضمن شرح المكودي ٢١٦.
(٧٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٨ / ٥٢.
(٧٤) الكشاف، للزمخشري ٤ / ٤٩٦.
(٧٥) تفسير البيضاوي ٥ / ١٩٦.
(٧٦) المؤمنون: ١١٥.
(٧٧) تفسير ابن كثير ٥ / ٥٠٠.
(٧٨) ينظر، التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٠ / ٢٠٥، وحق الصدارة في النحو العربي بين النظرية والتطبيق، لعزمي محمد ٥٢.
(٧٩) تفسير البيضاوي ٤ / ٩٧.
(٨٠) فتح الرحمن في تفسير القرآن، للمقدسي ٤ / ٤٩٩.
(٨١) روح المعاني، للألوسي ٩ / ٢٦٩.
(٨٢) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي ١٨ / ١١١.
(٨٣) ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري ٣ / ٥٤٤.
(٨٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٨ / ١٣٣.
(٨٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢ / ٣٣١، والاتقان، للسيوطي ٣ / ٢٦٩، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد المطلوب ١١٤، المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني ٢ / ١٠٤.
(٨٦) التفسير الوسيط للنطنطاوي ١ / ٦٨.
(٨٧) الكليات، للكفوي ٩٨.
(٨٨) الموسوعة القرآنية ٢ / ٢٥١.
(٨٩) ينظر: البرهان، للزركشي ٢ / ٣٣٣.

- (٩٠) ينظر: معتك الأقران، للسيوطي ١ / ٣٣٠.
- (٩١) ينظر: الإلتقان، للسيوطي ٣ / ٢٧٠.
- (٩٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب ٢٣٤.
- (٩٣) الهمزة: ٣.
- (٩٤) تفسير الطبري ٢٤ / ٥٩٨.
- (٩٥) نظم الدرر للبقاعي ٢٢ / ٢٤٥.
- (٩٦) ينظر المصدر السابق.
- (٩٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ٣٦٢.
- (٩٨) تفسير الخازن ٤ / ٤٦٩.
- (٩٩) الكشف للزمخشري ٤ / ٧٩٥.
- (١٠٠) تفسير البيضاوي ٥ / ٣٣٧.
- (١٠١) تفسير النسفي ٣ / ٦٧٨.
- (١٠٢) نظم الدرر للبقاعي ٢٢ / ٢٤٥.
- (١٠٣) تفسير أبي السعود ٩ / ١٩٨.
- (١٠٤) فتح القدير للشوكاني ٥ / ٦٠٣.
- (١٠٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢ / ١٣٠٣، والدر المصون للسمين الحلبي ١١ / ١٠٧، إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين الدرويش ١ / ٥٧٩، المجتبى من مشكل إعراب القرآن لأحمد الخراط ٤ / ١٤٨٢.
- (١٠٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣٠ / ٥٣٩.
- (١٠٧) المرجع السابق.
- (١٠٨) ينظر: المرجع السابق.
- (١٠٩) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي ١٥ / ٣٨٣.
- (١١٠) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣٠ / ٥٣٩.
- (١١١) النمل: ٤٤.
- (١١٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٢ / ٦٧٤.
- (١١٣) تفسير ابن كثير ٦ / ١٩٧.
- (١١٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي ٦٠٥.
- (١١٥) الإنسان: ١٩.

- (١١٦) تفسير النسفي ٣ / ٥٨٠ .
(١١٧) ينظر: شروح التلخيص ٣ / ٣٩٠، وحاشية الفنري ٤٩٤، وحاشية السبالكوتي ٤٥٥ .
(١١٨) تلخيص المفتاح، للقزويني: ٩٠ .
(١١٩) الكشاف، للزمخشري ٤ / ٦٧٣ .
(١٢٠) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٩ / ٣٩٧ .
(١٢١) نظم الدرر، للبقاعي ٢١ / ١٤٨ .
(١٢٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٩ / ٣٩٧ .
(١٢٣) تلخيص المفتاح، للقزويني ٩١، ٩٢ .
(١٢٤) نظم الدرر، للبقاعي ٢١ / ١٤٨ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ.
- إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر - القاهرة.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، المنصف لابن جني - شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث القديم، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

- أحمد بن علي بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندواوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض.
- أحمد بن محمد الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦ هـ.
- أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
- أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٧م.
- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.
- بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- بدر الدين محمد بن مالك المعروف بابن الناظم، شرح بدر الدين علي لامية الأفعال لابن مالك الطائي الأندلسي، الطبعة الأولى، مكتبة الإمام الوادعي، صنعاء - دار عمر بن الخطاب بمصر، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- اللبناني، تجريد العلامة اللبناني علي مختصر السعد التفتازاني على متن التلخيص في علم المعاني مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٢٨٥هـ.
- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الطبعة الخامسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: الخامسة، دار الجيل، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- حسن جلبي الفنري، حاشية المطول، مطبعة شركة الصحافية العثمانية، ١٣٠٩هـ.
- الحسين بن أحمد بن خالويه، كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م.
- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، ١٤١٢هـ.

- رجاء عيد، فلسفة البلاغة، منشأة المعارف، الإسكندرية - مصر.
- سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندواوي، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ.
- سعيد حوى، الأساس في التفسير، الطبعة السادسة، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٤ هـ.
- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، الطبعة الثانية عشر، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- شروح التلخيص (خمسة كتب) دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- عبد الحكيم السيالكوتي، حاشية السيالكوتي على كتاب المطول، الطبعة الثانية، منشورات الرضي، قم - إيران.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

- عبد الرحمن بن علي المكودي، شرح المكودي على الألفية لابن مالك، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٩ هـ.
- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٢ م.
- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- عبد العظيم ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٣ م.
- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، العمدة كتاب في التصريف، حققه وقدم له وعلق عليه: د. البدرأوي زهران، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٩٥ م.
- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دَرْجُ الدُّرر في تَفْسِير الآي والسُّور، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان - محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمير، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- عبد الله بن أحمد النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي - راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، ٩١٤١ هـ - ١٩٩٨ م.
- عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور النعالي، الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة.
- عزمي محمد عيال سلمان، حق الصدارة في النحو العربي بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠١١م.
- علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- علي بن الحسن الهنائي الأزدي الملقب بـ «كراع النمل»، المَجْد في اللغة، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور ضاحي عبد الباقي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.
- علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القَطَّاع الصقلي، كتاب الأفعال، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح، سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (وهو شرح منظومة حرز الأمان ووجه التهاني للشاطبي)، راجعه: الشيخ على الضباع، الطبعة الثالثة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله - د. محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المعجم الكبير - الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث.
- مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخریجاً: نور الدين طالب، الطبعة الأولى، دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، العذب التَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنَقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، تحقيق: خالد بن عثمان السبت - إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثانية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٢٦ هـ.
- محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١ م.
- محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي، حققهما الأساتذة: محمد نور الحسن - محمد الزفراف - محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والدكتور عبد السند حسن يمامة، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- محمد بن عبد الرحمن القزويني، تلخيص المفتاح مع الحواشي المنتخبة، الطبعة الأولى، مكتبة البشرى، كراتشي، ٢٠١٠ م.
- محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجبائي، إيجاز التعريف في علم التصريف، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، الطبعة الأولى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، الطبعة الأولى، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ١٤١٤ هـ.
- محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، تاريخ النشر: الأجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧ - الجزء ٤: يوليو ١٩٩٧م - الجزء ٥: يونيو ١٩٩٧ - الأجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨ - الأجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨ - الجزء ١٥: مارس.
- محمد عبادة العدوي، حاشية العدوي على شذور الذهب لابن هشام، المطبعة الوهبية البهية، ١٢٩٢هـ.
- محمد عبد الخالق عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، الطبعة السابعة، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.
- محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الطبعة الرابعة، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤١٨ هـ.
- محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، الطبعة الرابعة، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ١٤١٥ هـ.
- مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٦ هـ.
- مكي بن أبي طالب القيرواني، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.

- وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ.
- يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

المجلات:

- حمد بن مُحَمَّد الرائقي الصعيدي المالكي، فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال، تحقيق: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ.
- عبد الشكور بن محمد أمان العروسي، المباحث الغيبية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد ١٣، العدد ٢١، ١٤٢١هـ.